السادات.. مسح ٥٠ عامًا من الدعاية ضد العرب!

د. فاروق الباز

●● لا أعتقد أبدا أن عالمنا المعاصر قد اتفق بإجماع لم يحدث مثيل له من قبل على اختيار زعيم سياسى كرجل سلام فى العالم مثلما حدث بالنسبة للرئيس السادات بعد مبادرته المذهلة إلى الكنيست فى إسرائيل.

● لقد كنت موجودا فى الولايات المتحدة أثناء رحلة السلام إلى القدس ورأيت بنفسى آثار هذه الرحلة على المجتمع الأمريكى وكانت ردود الفعل هائلة لا يمكن تصورها.

كانت جمعية رؤساء المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية مجتمعة فى لوس أنجلوس أثناء الزيارة التاريخية، وكان أول ما أصدرته هذه الجمعية قرارا بتأييد الرئيس أنور السادات فى مبادرته الشجاعة، وثانى قرار كان مناشدة دولة إسرائيل أن تنتهز هذه الفرصة وتساهم مع الرئيس السادات فى إقامة السلام الدائم فى المنطقة.

ونستطيع أن ندرك قيمة ذلك إذا عرفنا أن هذه المنظمة التى تضم رؤساء المنظمات اليهودية كانت دائما ضد العرب ولها مواقف كثيرة لتأييد إسرائيل. نستطيع أن ندرك مقدار التغيير الذى حدث.

أما المجتمع الأمريكى فقد كان رد الفعل بالنسبة له رائعا للغاية.. الناس فى الشارع والمحلات وفى كل مكان كان كلامهم عن الرئيس السادات وعن مبادرته الشجاعة.. لم يعتبره الشعب الأمريكى رئيس دولة عاديا، ولكن اعتبره قائداً فذًا ارتقى إلى أعظم آفاق الحكمة والشجاعة. حتى التلاميذ فى المدارس تأثروا بهذه الزيارة.

أذكر أن ابنتى منيرة التى يبلغ عمرها نحو ١٣ سنة ذكرت لى أن مدرسة الدين طلبت من زميلة لها فى المدرسة أن تكتب عن شخصية ترى الله خلالها، وكانت تقصد بذلك أن تتكلم عن شخصية دينية موروفة مثل البابا. وكانت المفاجأة أن هذه الفتاة الصغيرة اختارت شخصية الرئيس أنور السادات وكتبت عن حياته وعن مبادرته من أجل سلام العالم كله.

واتصلت بنا إحدى جاراتنا بهى سيدة كاثوليكية تخبرنا فى سعادة غامرة أن خطبة الكنيسة فى يوم الأحد أثناء زيارة الرئيس السادات دارت ايضا حول هذه الزيارة وتضمنت الدعاء له بالنجاح فى مبادرته من أجل السلام.

وأحد العلماء الكبار الذين أعمل معهم فى مجال الفضاء رجل يهودى، ولأنه يعلم موقفى وآرائى بالنسبة لمشكلتنا مع إسرائيل كان لا يتحدث معى إطلاقا فى هذا الموضوع، وكان تعاملنا علميا بصورة ردية. وفى هذا اليوم جاء إلى مكتبى ودخل مباشرة وجلس فى انفعال على مقعد أمامى. وقال فى تأثر عميق: هذه الخطوة شجاعة ولا يستطيع أن يقدم عليها إلا زعيم كبير فى أمة متحضرة كمصر.. ثم أخذنا نتحدث فى المشكلة كلها لأول مرة منذ أكثر من عشر سنوات.

حتى تلك الفئة القليلة الضالة من بعض الطلبة العرب والطلبة الفلسطينيين الذين تجمعوا فى مظاهرة صغيرة أمام البيت الأبيض لمهاجمة مبادرة السلام، الطريف أن التليفزيون الأمريكى بادر بإجراء بعض التسجيلات معى ومع غيرى حول أبعاد المشكلة وقيمة المبادرة التى قام بها الرئيس السادات، الذى يستطيع - كما قالو عنه - بنظرته الشاملة وتفكيره العميق أن يسير فى طريق السلام إلى نهايته لأنه «أقدر رجال المنطقة على صنع السلام» وهذا فيما أعتقد تحول إعلامى كبير للتليفزيون الأمريكى نحو قضيتنا العادلة.

تلك باختصار شديد ردود الفعل المباشرة فى المجتمع الأمريكى لمبادرة السادات القائد من أجل السلام ليس لشعوب المنطقة فحسب وإنما للعالم أجمع كما رأيتها وعشتها.. ولا أكون مبالغا إذا قلت إن ما أحدثته هذه المبادرة من تأثير فى الرأى العام الأمريكى مسحت خمسين سنة من الدعايا الصهيونية فى الولايات المتحدة، بل وأكثر من ذلك بكثير.

فلقد بدأ شعور طيب جدا يتجه نحو العرب ومصر بصفة خاصة وأصبحت شخصية السادات فى المجتمع الأمريكى من أكثر الشخصيات بريق واحتراما إن لم يكن أكثرها على الإطلاق